

في البدء كان أوراس .

[العنوان الأصلي هو:

عزالدين ميهوبي في السوق يباع]

أن تكتب عن التاريخ ، فإنما تكتب عن الواقع ، إن تكتب في العلوم فإنما تكتب عن الحقيقة ، إن تكتب عن شاعر، أو فنان ،انما تكتب عن كل شيء، و عن لا شيء .

هل تصح هذه البداية لبحار سريع في زورق عابر للقارات للوقوف على شواطئ الشاعر الفنان عز الدين ميهوبي و هل يمكن أن نصل إلى هذه الشواطئ بهذا القارب التائه الحالم المطعون ، هل و هل ، لأدع لغة وجاء ،وقال وأمتطى عبارات اليراق السائح في هذا الكون لاخرج من مدرجات الالزام والايجاب إلى أجنحة البلابل الطليقة فاحلق على مجموعة " في البدء كان أوراس " للشاعر ميهوبي ، بهذه الإنشائية الفضفاضة السحرية ، التي تعيدني إلى الطفولة ، إلى البراءة ، لأنني سألتقي مع هذه البراءة و هذه الطفولة الفياضة المتدفقة ، التي جاءت من مخاض عسير إنتهى بعملية قيصرية في مطبعة الشهاب ، الفتية الجادة التي تحاول أن تكون لها كلمتها في ايصال الكلمة الجزائرية إلى القارئ في أي مكان .

من هذه الدار التي تنتظر من جهتها مخاضا آخر يمكنها من الوسائل المختلفة لتؤدي رسالتها على أحسن وجه جاءت باقة عز الدين راقصة في شوارع باتنة بدءا من ممري ابن بولعيد فودها بذلك ان تكون أوراسية في كل شيء في العنوان في البذلة في الوجود ، في الممر و العبور ، ثم في السفر والإبحار ، و في التحليق و الطيران ، ودها ، و وِدْنَاهَا جميعا فكانت المجموعة التي تبلغ ثلاثين قصيدة يتصدرها وسام الشرف و البطولة و العزة ، والأبء الذي قدم به بل أهده لابييه جمال الدين مد الله في عمره وجعله يقرأ

ما تبقى من مخطوطات الفتى - الفذ عز الدين - الذي ننتظر منه اطفالا و بنين كثيرين ليمألوا رف المكتبة الجزائرية ، ويخدموا الثقافة الوطنية .

هذا العدد من الباقات التي وشاها الشاعر بيده لكونه فنانا تشكيليًا - كذلك - جاءت في صورة انيقة ممتازة في تقديرنا حاول الشاعر فيها أن يكون ذلك الجزائري الأصيل الذي يضع قدما على قمم الأوراس ، و أخرى في محراب القدس الشريف شأنه في ذلك شأن آبائه و أجداده الأفاضل ، الكرام فأتبعه حلمه هذا ، بل أمانيه هذه التي حملها جراحا تنزف من الأعماق فلفها حيننا بضمادات "وتنفس الأوراس " و " ثلاثيات اوراس " .

و في " قصيدة الوطن " التي نالت الجائزة الأولى بمناسبة الذكرى العشرين للإستقلال ، و أحيانا بدموع : " فواصل جراحه " و " يا حادى القدس " و " مرثية أولى للقدس " ، و ... و ...

و مع ذلك تظل القدمان على الثبات فيسمرهما في مكانهما في " عودة خيول مملكة المساحيق " . التي أظنها ستصير مع الأتي مملكة للعابرين المحققين تظل قدماه هذا منتصبين ، ثم يلحقهما بذراعه فيضع المحيط على واحدة و الخليج على أخرى ، ويرادفهما بنظرتين شزراوين تخرقان كل ذلك لتصيرا من القطب إلى القطب و من الغرب إلى الشرق ، فتوديا صلاة الصبح في أم القرى وصلاة المغرب في أقصى تاشقند ، و صلاة الظهر في السند ، والعصر في بواتيه و جزيرة ابيرييه ، هذا هو ميهوبي إجمالا وتعريفا في خارطة مرسومة على مدى هذه الصفحات و في العناوين السابقة و التي لم أذكرها ، و في المقدمة التي كتبها بنفسه كذلك .

و ما أحسب بعد ذلك أن هذا الطائر الذي بلغ هذه الدرجة من التحليق يحتاج إلى تعريف منا ، فهو ذلك البلبل الذي مازال صدى الحانه ترده ثنايا صحفنا ومجلاتنا العربية في المشرق و في المغرب ، انه من ذلك الصنف الذي أمضى جواز سفره على جدران كل أذن عربية يسحرها البيان العربي و يهزها النغم الإنشادي

العربي ومن ذلك الصنف الذي آمن أنه ابن بار لأبوين أصيلين لا يشك أبدا في نسبهما . و نقاوة هذا النسب فاتى جواد خالد بالعزم نفسه ، و الهمة ذاتها ينشد الحلم نفسه ، و ما عز عليه أن يسمع ما يسمع من الغربان ، و هو يشق الدهاليز الافريقية ، و يوغل في الغابات الاستوائية ، تاركا الفتات يصنع الهجين للاستهلاك اليومي ، و اجهزة الاستقبال تختزن السعال المبجوح و عواء الذئاب الضالة .
إن عز الدين قد بدأ الدورة الآن و بداها على مستوى اقرانه بفوز ساحر خرافي يكاد يكون خياليا لان الفن احيانا يسخر من لغة التقويم ، و لغة الأرقام وفي تقديري أنه سيكمل الدورة و الجثث تحيط به من كل جانب فحذار من الطعنات الغادرة الحاقدة ، و ما أكثرها اليوم .
و هنيئا يا زمنا نشدناه في الحلم فاتى في اليقظة .
هنيئا للزهور التي تفتحت في أوانها و في غيرها ، و هنيئا لنا بهذه الزهور التي وشت اذهاننا و انتشت بعطرها افئدتنا وتربعت على مقاعد مكاتبنا و أسرة حجراتنا .

النصر : 28 جانفي 1986 .

د.العربي- دحو / مقاربات فارس- ديوان العرب الجزائري ط 2 دار
الهدى